شهدت الجزائر خلال العهد العثماني انتعاشا ملحوظا في البناء والتشييد خاصة لبعض الأصناف من العمارة ، وبحكم أن وجود العثمانيين قد تركز في مدن معينة أغلبها ساحلية وليس كل مدن الإيالة ، فإن العمارة المنسوبة إليهم أيضا قد تركزت في هذه المدن فقط ونذكر منها على سبيل المثال مدينة الجزائر التي صارت عاصمة الإيالة ، قسنطينة ، عنابة ، بجاية ، جيجل ، القل ، البليدة ، القليعة ، تنس ، شرشال ، مستغانم ، معسكر ، مليانة ووهران لاحقا بعد تحريرها ...

ويمكننا الحديث عن أنماط رئيسية من العمارة كانت هي الأكثر حضورا وانتشارا من غيرها ، و هي العمارة الدينية ، المدنية (السكنية) ، العمارة العسكرية والمرافق العمومية .

ثانيا : العمارة الدينية

وقد اهتم حكام الجزائر العثمانيين بتشييد العمائر والمنشآت الدينية والتي يمكن أن نقسمها إلى : مساجد ، مدارس وأضرحة .

وقد تحدثت الكثير من المصادر التاريخية والأثرية عن المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني ، لكن هنالك مشكلتين في كتابات هذه المصادر ، الأول أنها ركزت في الغالب على مدينة الجزائر ولا نجد إلا النزر اليسير عن باقي المدن الأخرى للإيالة ، والمشكل الثاني هو أنها تحدثت أيضا في الغالب عن المساجد وأهملت باقي المنشآت الأخرى من مدارس وأضرحة .

1 - المساجد :

بالنسبة للمساجد فلدينا عدد معتبر منها لا تزال قائمة إلى اليوم تشهد على إنجازات العثمانيين في هذا المجال ، ومن خلال فحص سريع لتخطيط المساجد الجزائرية في العهد العثماني يتضح أنها بنيت وفق طرازين أساسيين ، الأول هو **الطراز المحلي** وهو امتداد لتخطيط المساجد قبل مطلع القرن 16 ، ويكون بصحن أو بدونه ويقوم فيه بيت الصلاة على مجموعة من الأعمدة والدعامات تحمل سقفا مسطحا أو جملونيا ، ومن نماذجه مسجد القصبة البراني ومسجد سيدي محمد بوقبرين بالعاصمة ، والجامع الأخضر بقسنطينة ، وأغلب مساجد هذا الطراز من الحجم المتوسط والصغير .

أما الثاني فيمكن أنه نصطلح عليه **الطراز الوافد** ، ونلاحظ على تخطيطه عموما تمازج الطراز المحلي مع تأثيرات جديدة وافدة خاصة من بلاد الأناضول والولايات العثمانية بالمشرق كمصر والشام والأندلس ، ونميز خلال هذا الطراز خاصة ما يتعلق بطريقة التسقيف ثلاثة أنماط رئيسية :

أ - مساجد قاعة الصلاة فيها مربعة مغطاة بقبة مركزية كبيرة تحيط بها مجموعة من القباب الصغيرة ومن أمثلتها جامع علي بتشين ، كتشاوة ، جامع الداي بالقصبة ، وجامع الباشا بوهران ، حسن باي بقسنطينة وصالح باي بعنابة .

بـ - مساجد قاعة الصلاة فيها مربعة مغطاة بقبة مركزية كبيرة تقوم على حنايا ركنية مثل جامع صفر بالعاصمة .

جـ - مساجد قاعة الصلاة فيها مستطيلة مغطاة بقبوين متقاطعين ، أحدهما أطول من الآخر ليشكلا مايشبه الصليب ، ويقومان على مجموعة من الدعامات الضخمة ونموذجه الأوضح هو الجامع الجديد بالعاصمة .

ولا يتعلق الأمر بالتغيير في أنماط التخطيط فقط ، بل نلاحظ الكثير من التغيرات التي طرأت على العمارة عموما وعلى عمارة المساجد خصوصا في العهد العثماني ، ومن بينها انتشار استخدام نظام بيوت الصلاة المعلقة وهي التي تكون في الطابق الأول وليس الأرضي وهو نظام انتشر في بلاد الأناضول ، كما نلاحظ تغير أشكال المآذن ، فبعد أن كان الطراز السائد فيها المآذن ذات المسقط المربع اقتداء بمئذنة القيروان ، انتشر استخدام المآذن الرشيقة ذات الأبدان الأسطوانية والرؤوس المخروطية أو المآذن مثمنة المسقط .

ومن بين هذه التغيرات أيضا استخدام دكة المبلغ ، وهي منصة مرتفعة من الحجر أو الرخام أو الخشب يصعد عليها شخص مكلف من المصلين ويقوم بترديد التكبير والتهليل خلف الإمام بصوت عال لإسماع باق المصلين ، ولم يكن هذا العنصر معروفا أو مستخدما على الأقل قبل القرن السادس عشر في الجزائر وبلاد المغرب ، ونجده منتشرا بكثرة في مساجد بلاد الأناضول ويكون غالبا من الرخام .

نلاحظ أيضا انتشار استخدام القباب الكبيرة والصغيرة والأقبية في التسقيف بعد أن كانت تستخدم غالبا الأسقف المسطحة والأسقف الجملونية ، كما شاع استخدام البلاطات الخزفية في تكسية الجدران بصفة كبيرة ، وقد كان جزء معتبر من هذه البلاطات يجلب من بلاد الأناضول ومن بلدان أخرى أيضا ، وقد حملت معها تأثيرات فنية وزخرفية من أماكن استيرادها ، كما نشاهد أيضا الاستخدام الكبير للرخام خاصة الأبيض منه والذي كان يستورد خاصة من إيطاليا ويستخدم خاصة في الأعمدة وإطارات الأبواب والنوافذ ، وفي بلاط الأرضيات .

ومن التأثيرات الجديدة البارزة أيضا نجد استخدام المنابر الثابتة من الحجر أو الرخام بدل المنابر الخشبية المتحركة التي كانت معروفة من قبل ، ولا يزال هنالك منبران من الرخام يعودان للعهد العثماني ، الأول بالجامع الجديد بالعاصمة والثاني بجامع سيدي الكتاني بقسنطينة .

وبسبب الانفتاح الكبير الذي عاشته الجزائر خلال العهد العثماني على مختلف دول العالم خاصة دول حوض البحر الأبيض المتوسط نلاحظ ظهور الكثير والكثير من التأثيرات الفنية والزخرفية الوافدة سواء فنون الترك والسلاجقة من بلاد الأناضول أو تأثيرات ولايات المشرق العثماني خاصة التأثيرات المملوكية أو تأثيرات فنون النهضة الأوربية والتي تجلت بوضوح في المصنوعات الرخامية والبلاطات الخزفية ، دون أن ننسى التأثيرات الأندلسية ، ومعروف أن الجزائر استقبلت منذ نهاية القرن 15 وفودا كبيرة جدا من مسلمي الأندلس الذين برعوا في شتى العلوم والحرف والصنائع والفنون ومنها العمارة ، كل هذه التأثيرات الوافدة وقع فيها تمازج مع التأثيرات المحلية السابقة لتنتج لنا طرزا جديدة نوعا ما طبعت شخصية الجزائر الحديثة في مجال العمارة والفنون .